نسخة مجردة من التعليق والشرح

وصيـــــة

الخطاب بن المعلى المخزومي لابنه

اعتنى بها وعلّق عليها

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِين.

أمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ وَصِيةُ الخَطَّابِ بنِ المُعَلَّى المَخْزُومِي لابْنِهِ، جَمَعَ فِيْهَا جَمِيلَ الوَصَايَا، وَحَذَّرَ مِنْ قَبَائحَ الأخْلاقِ وَالرَّزايَا، وَهِي إحْدَى وَصَايا الآبَاءِ للأبْنَاءِ التّي اهتمّ بِهَا العُلَمَاءُ، وقد جَمعْتُ كَثِيراً مِنْهَا في كِتَابي "تَاجُ الأُدَباءِ بِوَصايَا الآباءِ للأبْنَاءِ" وَهذِهِ الوَصِيةُ أسْنَدَهَا الحَافِظُ ابْنِ حِبَّانِ البُسْتِيُّ في كِتَابِه الثَّمِينِ: "رَوْضَةِ العُقَلاءِ ونُزْهَةِ الفُضَلاءِ" وَقَدْ يَسَّرَ اللهُ تَعَالى لي فِي العِقْدَينِ المَاضِيينِ شَرْحَهَا أكْثَر مِنْ عِشْرِينَ مَرةٍ في مَجَالسَ عِلْمَيةٍ عَدِيدةٍ، واليوم أفردها بِالنَّشْرِ وَالتَّعْليقِ لأهَمِّيَتِهَا، ولِيَنْتَفعَ بِهَا مَنْ نَظَر فِيْهَا مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ والنّاشِئةِ، وإنّي أرويها بأسانيد كثيرةٍ عن مشايخي، فَأقُولُ:

أخْبَرَني وَالِدِي عَلِيٌّ بنُ طَامِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى وَرَفَعَ مَنْزَلَتَهُ فِيْ عِلِّيِّينَ يَوْمِ الجُمْعَةِ الخَامِسِ والعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبيعٍ الآخِرِ عَامِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وأرْبَعُمائةٍ وألْفٍ للهِجْرَةِ (ت١٤٣٤) إجَازَةً أخْبَرَنَا الشَّيخُ مُحَمَّد زُهْيرِ الشَّاوِيش –وأنَا أرْوِيهِ عَنْ الشّيخِ مُحَمَّد زُهيرِ الشَّاوِيشِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى (ت١٤٣٦)- أخْبَرَنَا مُحَمَّد رَاغِب الطَّبّاخ الحَلَبِي (ت١٣٧٠) أخْبَرَنَا الشَّيخُ مُحَمَّد شَرَف الحَقِ الهِندي الدِّهْلَوي (ت١٣٢٢) إجَازَةً فِي شُهُورِ عَامِ اثْنَينِ وَعِشْرِينَ وثَلاثُمِائةٍ وألْفٍ أخْبَرَنَا فَضْلُ الرَّحْمَن المُرَاد آبَادِي (ت ١٣١٣) أخْبَرَنَا عَبْدُالعَزِيزِ الدِّهْلَويّ

(ت١٢٣٩) أَخْبَرَنَا والِدِي أَحْمَدُ ولي الله الدِّهْلَوي (ت١١٦٧) أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِر مُحَمَّد بنِ إِبْرَاهيمِ الكُورَاني (ت١١٤٥).

ح وَقَالَ والِدي رَحِمَهُ اللهُ: وَأَخْبَرَنا مُحَمَّد عَبْدِالرَزّاقِ الخَطِيبِ الدِّمَشْقِي (ت١٤٢٦) أَخْبَرَنَا أَبُو النَّصْرِ الخَطِيبِ الدِّمَشْقِيِّ (ت١٣٢٤) أَخْبَرَنَا عَبْدُالرّحْمَنِ بنِ مُحَمّد الكُزْبَرِي (ت١٢٦٢) أَخْبَرَنَا الأميرُ الكَبيرِ مُحَمّد بنِ عَليّ السَّنْبَاوي (ت١٢٣٢) وَيَرْوِيهِ أَبُو النَّصْرِ الخَطِيبِ عَنِ إِبْرَاهيمِ بن مُحَمّد البَاجُورِي (ت١٢٧٧) عَنِ الأميرِ الكَبِيرِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بنِ سَالِمِ الحَفْنَاوي (ت١١٨١) أَخْبَرَنَا عَبْدُالله بن سَالم البَصْرِيِّ (ت١١٣٤).

كِلاهُمَا –الكَوْرَاني وَالبَصْرِي– قَالا: أَخْبَرَنَا الشَّيخُ مُحَمَّد بنِ العَلاءِ البَابِلي (ت١٠٧٧) أَخْبَرنا سَالم السَّنْهُورِي (ت١٠١٥) أَخْبَرَنَا النَّجمُ الغِيطِي (ت٩٨٢) أَخْبَرَنا الزَّينُ زَكَريا الأَنْصَارِي (ت٩٢٥) أَخْبَرَنَا الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلاني (ت٨٥٢) أَخْبَرَنَا أَبُو هُريرةَ ابنُ الذَّهَبِي، قال: أخبرنا أبي –الحافظ الذَّهَبي–[1] أَخْبَرَنَا أَحْمدُ بنُ حَمْدَانِ بنِ شَبيبٍ بنِ حَمْدَانِ النُّمَيري الحرَّاني الْفَقِيهُ الأُصُولِي القَاضِي نَجْمُ الدّينِ[2] أَخْبَرَنَا الشّيخُ الإِمامُ الحَافِظُ أَبُو مُحَمَّد عَبْدُالقَادِرِ بنِ عَبْدِالله الرَّهَاوِي[3] قال: حدَّثَنَا الأَمِيرُ القَاضِي عُمْدَةُ الدِّينِ مُعينُ الإِسلامِ

---

[1] وهو يروي ما لابن حمدان الفقيه بالإجازة، ينظر: "معجم الشيوخ الكبير" للذهبي (١/ ٤١)، ويروي عنه أيضاً: أبو الحجاج المزي والدمياطي والبرزالي في آخرين.

[2] وهو يروي سائر ما للرهاوي بالسماع والإجازة، ينظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي (١٣/ ٣٤٢).

[3] ونسخة "روضة العقلاء" في نسختها الخطية مروية من طريق الرهاوي بإسناده المذكور، وأبقيته بكامل رسمه على ما هو في الأصل.

نَاصِرُ السُنَّة أَبُو عَبْدِالله مُحَمَّدِ بنِ نَصْرِ بنِ الحُسَينِ بنِ مُحَمَّد بنِ سَعيدِ بنِ مُحَمَّد بـنِ سَعِيدِ بنِ مُحَمَّـدِ البُوْسَـنْجِي مِـنْ لَفْظِـهِ بِبُوسَـنْج فِي شُـهُورِ سَـنَةِ اثنَتَـينِ وَسِـتِّين وَخَمْسُمِائَةٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ العَالِمُ الزَّاهِدُ عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو جَعْفَـرِ حَنْبَـلِ بنِ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ البُخَارِي الصُّوفي السُنِّي رَحِمَه اللهُ قَال: أَخْبَرَنَا الشّيخُ أَبُو مُحَمَّد أَحْمَد بنِ مُحَمَّدِ بن أَحْمَد التُّونِي سَنَة تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِالله أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّد بنِ عَبْدِالله الشُّرُوطِي، قَالَ: أَخْبَرنَا أَبُو حَاتِم مُحَمَّدُ بنُ حِبَّانِ البُسْتي رَضِي اللهُ عَنْهُ، قَال: فِيْ كِتَابِهِ **"رَوْضَةُ العُقَلاءِ وَنُزْهَةُ الفُضَلاءِ"**:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بنُ المُنْذِرِ بنِ سَعِيدِ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِم مُحَمّدُ بنِ إِدْرِيسِ الحَـنْظَلِي حَدَّثَنِي عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ أَبي عَطِيَّـة الحِمْصِي ـ عَـنِ الخَطَّـابِ بـنِ المُعَـلَّى المَخْزُومِـي القُرَشِي[1] أَنَّه وَعَظ ابْنَهُ فَقَال:

يا بُنَي:

[١] عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله وَطَاعَتِهِ، وَتَجَنّب مَحَارِمَه باتِّبَـاعِ سُـنَّتِه وَمَعالِمِـه حَتَّـى تَصِحَّ عيوبُك، وتَقَرَّ عينُك، فإنَّها لا تَخْفَى عَلى الله خَافِيةٌ.

[٢] وإِنِّي قَدْ وَسَمْتُ لَكَ وَسْمَا، وَوَضَـعْـتُ لَكَ رَسْمَاً، إِنْ أَنْتَ حَفِـظْتَهُ

---

[1] قال ابن عساكر في " تاريخ دمشق" (١٦/ ٤٥٦): «الخطاب بن المعلى الدمشقي وكان أديبا حكيما أوصى ابنا له وصية حسنة رويت عنه».

وترجمته شحيحة فلم أجد له ذكراً في كتب التراجم سوى هذا الموطن.

وقد نقل أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ١٩٢) طرفاً من هذه الوصية ولم يسمّه، وإنما قال: «بعض الحكماء».

وَوَعَيْتَهُ وَعَمِلْتَ بِهِ مَلأتَ أعينَ المُلوكِ، وانْقَادَ لَكَ بِهِ الصُّعْلُوكُ[١]، وَلمْ تَزَلْ مرتجى مُشَرِفَا يُحْتَاجُ إليْك، وَيُرْغَبُ إلى مَا فِي يَدَيْكَ، فأطِعْ أبَاكَ، وَاقْتَصِر عَلى وَصِيةِ أبِيكَ، وَفَرِّغْ لِذَلِكَ ذِهْنَكَ، وَأشْغِلْ بِهِ قَلْبَكَ وَلُبَّكَ:

[٣] وَإيِّاكَ وَهَذَر الكَلامِ، وَكَثْرَةِ الضَّحِكِ وَالمُزَاحِ، وَمُهَازَلةِ الإخْوَانِ، فإنّ ذَلِكَ يُذْهِبُ البَهَاءَ، وَيُوقِعُ الشَّحْنَاءَ.

[٤] وَعَلَيكَ بالرَّزَانَةِ[٢] وَالتّوَقُرَ، مِنْ غَيرِ كِبْرٍ يُوصَفُ مِنْكَ، وَلا خُيَلاءَ تُحْكَى عَنْكَ.

[٥] وَالْقَ صَدِيْقَكَ وَعدوَّكَ بِوَجْهِ الرِّضَى، وَكَفِّ الأذَى، مِنْ غَيرِ ذِلَّةٍ لَهُم وَلا هَيْبَةٍ مِنْهُمْ.

[٦] وَكُنْ فِي جَمِيعِ أمُورِكَ فِي أوْسَطَهَا؛ فإنَّ خَيرَ الأمُورِ أوْسَاطُهَا.

[٧] وَقلِّلِ الكَلامَ.

[٨] وَأفْشِ السِّلامَ.

[٩] وامْشِ مُتَمَكِّنَا قَصْدَاً[٣]، وَلا تَخُطَّ بِرِجْلِكَ، وَلا تَسْحَبْ ذَيلَكَ[٤]

---

[١] أي تكون قائداً لمن هو دونك، مقدّما على غيرك بحسن أدبك، والصُّعْلُوكُ الذي لا مالَ له، وجَمْعُه صَعَالِيْكُ.

[٢] الرزانة: هي الوقار والتأني.

[٣] أي ثابتاً مستقيماً في مشيك، معتدل بين البطء والسرعة، وهذا مأخوذ من قول الله تعالى فيما حكاه عن لقمان: ﴿وَاقْصِدْ فِيْ مَشْيِكَ﴾ [لقمان:١٩] قال مجاهد: «تواضع»، وقال سعيد بن جبير: «لا تختال».

[٤] أي ذيل الثوب؛ وقد نهى النبيﷺ عن الإسبال، وقالﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» متفق عليه، وقالﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى مسبل**» أخرجه النسائي.

وَلا تَلْوِ عُنُقَكَ[1]، وَلا رِدَائَكَ، وَلا تَنْظرْ فِي عَطِفَـكَ، وَلا تُكْثِـر الالْتِفَـاتَ، وَلا تَقِفْ عَلى الجَمَاعاتِ.

[١٠] وَلَا تَتَّخِذَ السُّوقَ مَجْلِسَا، وَلا الحَوَانِيتَ مُتَحَدَّثَا.

[١١] وَلَا تُكْثِرِ المِرَاءَ، وَلا تُنَازِعِ السُّفَهاءَ.

[١٢] فإنْ تَكَلَّمتَ فَاخْتَصِرْ.

[١٣] وَإنْ مَزَحَتَ فَاقْتَصِرْ.

[١٤] وَإذَا جَلَسْتَ فَتَرَبَّعْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ تَشْبيكِ أصَابِعِكَ وَتَفْقِيعِهَا، وَالعَبَثِ بِلِحْيَتِكَ وَخَاتَمِكَ، وَذُؤابةِ سَيْفِكَ وَتَخْلِيلِ أسْنَانِكَ، وإدْخَالِ يَدِكَ فِي أنْفِكَ، وَكَثْرَةِ طَرْدِ الذُّبَابِ عَنْكَ، وَكَثْرَةِ التَّثَاؤبِ وَالتَّمَطِّي، وَأشْبَاهِ ذَلِـكَ مِمَّـا يَسْـتَخِفُّهُ النَّـاسُ مِنْكَ، وَيَغْتَمِزُونَ بِه فِيْكَ.

[١٥] وَلِيَكُنْ مَجْلِسُكَ هَادِيَاً، وَحَدِيثُكَ مَقْسُوْمَاً، وَأصْغِ إلى الكَلامِ الحَسَـنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ، بِغَيرِ إظْهَارِ عَجَبٍ مِنْكَ، وَلا مَسْألةِ إعَادَةٍ.

[١٦] وَغُضَّ عَنِ الفُكَاهَاتِ مِنَ المَضَاحِكِ وَالحِكَايَاتِ.

[١٧] وَلَا تُحدِّث عَنْ إعْجَابِكِ بِوَلَدِكَ، وَلَا جَارِيتِكَ، وَلا عَنْ فَرَسِكَ، وَلا عَنْ سَيْفِكَ.

[١٨] وَإيَّاكَ وَأحَادِيثَ الرُّؤيَا، فإنّكَ إنْ أظْهَرْتَ عَجَبـاً بشيـءٍ مِنْهَـا طَمِـعَ فِيْهَا السُّفَهَاء، فَوَلَّدُوا لَكَ الأحْلامَ، واغْتَمَزُوا في عَقْلِكَ.

---

[1] من الكبر والتعالي على الناس، وَأخرج ابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾ [لقمان:١٨] قَالَ: «هُوَ الَّذِي إِذا سلم عَلَيْهِ لوى عُنُقه كالمستكبر».

[١٩] وَلا تَصَنَّعْ تَصَنُّعِ المرْأةِ، وَلا تَبَذَّلْ تَبَذُّلِ العَبْدِ.

[٢٠] وَلا تُهَلِّبْ لِحْيَتَكَ وَلا تُبَطِّنَهَا[١].

[٢١] وَتَوَقَّ كَثْرةَ الحَفِّ[٢]، وَنَتْفَ الشَّيْبِ[٣]، وَكَثْرةَ الكُحْلِ، وَالإِسْرَافَ في الدُّهْنِ، وَليكُن كُحْلُكَ غِبًّا[٤].

[٢٢] وَلا تُلِحَّ في الحَاجَاتِ، وَلا تَخْشَعْ في الطَّلَبَاتِ.

[٢٣] وَلا يَعْلمْ أَهْلُكَ وَولدُكَ - فَضَلاً عَنْ غَيْرِهِم - عَدَدَ مَالِكَ، فإنَّهُم إنْ رأوهُ قَلِيْلاً هِنْتَ عَلَيْهِمْ، وإنْ كَانَ كَثِيراً لَمْ تَبْلُغَ بِهِ رِضَاهُمْ.

[٢٤] وأخِفْهُم فِيْ غَيرِ عُنْفٍ، وَلِنْ لَهُمْ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ.

[٢٥] وَلَا تُهَازِلْ أَمَتَك.

---

[١] في "اللسان": «وانهلب الشعر، وتهلب: تنتف» فيكون المعنى: نهيه عن نتف ما غلظ من شعر اللحية.

هلب الشعر: نتف ما غلظ منه.

وتبطين اللحية: جاء في "تهذيب اللغة": «معنى يبطن لحيته، أي: يأخذ من تحت الحنك والذقن الشعر».

[٢] أي حلق الشارب، وظاهر السنة الجز والقص منه، وأباح بعضهم الحلق! وقال بعض العلماء: «يكره حلق الشارب حتى تظهر البشرة ويراه بدعة» وقد كان مالك بن أنس وبعض علماء المدينة يقولون: «حلق الشارب مُثْلَة» إنما هو الأخذ منه حتى يبدو الإطار والإطار حروف الشفة من فوق.

[٣] لما ورد في "السنن" «**أن النبيﷺ نهى عن نتف الشيب**»، ومجموع أسانيد هذا الأصل ترتقي للصحة، وقال ابن مفلح في "الفروع": «ويكره نتف الشيب اتفاقاً».

[٤] هكذا؛ والمحفوظ أن الغب يكون في الترجل والادِّهان، لما رواه عبد الله بن مغفلﷺ: «**أن رسول اللهﷺ نهى عن الترجل إلا غبا**» أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأما الكحل ففي كل ليلة، كما ثبت عن النبيﷺ في المسند وغيره أنه كان يكتحل بالإثمد كلّ ليلة.

[٢٦] وَإِذَا خَاصَمْتَ فَتَوَقَّرْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ، وَتَجَنَّبْ عَنْ عَجَلَتِكَ، وتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ، وَأرِ الحَاكِمَ شَيْئاً مِن حِلْمِكَ، وَلا تُكْثِر الإِشَارَةَ بِيَدِكَ، وَلَا تَحفَّزَ عَلى رُكْبَتَيْكَ، وَتوقَّ حُمْرةَ الوَجْهِ، وَعَرقَ الجَبينِ.

[٢٧] وَإِنْ سُفِهَ عَليكَ فاحْلَمْ، وإِذَا هَدَأ غَضَبُكَ فَتكَلَّم.

[٢٨] وَأكْرِم عِرْضَكَ، وَألْقِ الفُضُولَ عَنْكَ.

[٢٩] وإِنْ قَرَّبَكَ سُلْطَانٌ فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَدِّ السِّنَانِ، وإِنْ اسْتَرْسَلَ إليكَ فَلا تَأمَنْ مِن انْقِلابِهِ عَلَيكَ، وارْفِقْ بِهِ رِفْقَكَ بِالصَّبِيِّ، وَكَلِّمْهُ بِما يَشْتَهِي، وَلا يَحْمِلَنَّكَ مَا تَرَى مِنْ إِلْطَافِهِ إِيَّاكَ، وَخَاصَّتِهِ بِكَ: أنْ تَدْخُلَ بَيْنَهُ وبَينَ أحَدٍ مِنَ وَلَدِهِ وَأهلِهِ وَحَشَمِهِ، وَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ مِنْكَ مُسْتَمِعَاً، ولِلْقَولِ مِنْكَ مُطِيعَاً، فَإِنَّ سَقطَةَ الدَّاخِلِ بَين المَلِكِ وأهْلِهِ صَرْعةٌ لا تُنْهَضْ، وَزَلَّةٌ لا تُقَال.

[٣٠] وَإِذا وَعَدْتَ فَحَقِّقْ، وَإِذَا حَدَّثْتَ فاصْدُقْ.

[٣١] وَلا تَجْهَرْ بِمَنْطِقِكَ كَمُنَازِعِ الأصَمِّ، وَلا تُخَافِتْ بِهِ كَتَخَافُتِ الأخْرَسِ.

[٣٢] وَتَخَيَّر مَحَاسِنَ القَوْلِ بِالحَدِيثِ المَقْبُولِ.

[٣٣] وَإِذا حَدَّثْتَ بِسَماعٍ فَانْسِبْهُ إلى أهْلِهِ.

[٣٤] وإِيَّاكَ والأحَادِيثِ العَابِرَةِ المُشَنِّعَةِ التِي تُنْكِرُهَا القُلوبُ، وَتقِفُّ لَهَا الجُلُودُ[1].

[٣٥] وإِيَّاكَ وَمُضَعَّفِ الكَلامِ مِثْلَ: نَعَم، نَعَم، وَلَا، لَا، وَعَجِّل عَجّلْ

---

[1] تقف لها الجلود: «تقشعر».

وَمَا أَشْبَه ذَلِكَ.

[٣٦] وَإِذَا تَوضَّأتَ فأجِدْ عَرْكَ كَفَّيكَ، وَلـيَكُن وَضْـعُك الحَـرْضَ[١] مِـنْ الأَشْنَانِ فِي فِيْكَ كَفِعْلِكَ بالسِّوَاكِ، وَلا تَنَخَّعَ فِي الطَّسْتِ، وَلـيكُنْ طَرْحُـكَ المـاءِ مِنْ فِيكَ مُتَرسِلاً، وَلا تَمُجَّ فَتَنْضَحَ عَلى أَقْرَبِ جُلَسَائِكَ.

[٣٧] وَلا تَعُضَّ نِصْفَ الُّلقْمَةِ، ثُمَّ تُعِيدُ مَا بِقَيَ مِنْهَـا مُنْصَـبِغَاً، فَـإِنَّ ذَلِـكَ مَكْرُوهٌ.

[٣٨] وَلا تُكْثِر الاسْتِسْقَاءَ عَلى مَائِدَةِ المَلِكِ.

[٣٩] وَلَا تَعْبَثْ بِالمِشَاشِ.

[٤٠] وَلَا تَعِبْ شَيْئَاً مِمَّا يُقَرَّبْ إليكَ عَلى مَائدةٍ بِقِلَّةِ خَلٍّ أَوْ تَابِلٍ أَوْ عَسَـلٍ، فإنَّ السَّحَابَةِ قَدْ صَيَّرَتْ لِنَفْسِها مَهَابَةٍ.

[٤١] وَلَا تُمْسِكْ إِمْسَاكَ المَثْبُورِ، وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرَ السَّفِيهِ المَغْرُورِ.

[٤٢] وَاعْرِفْ فِي مَالِكَ وَاجِبَ الحُقُوقِ، وَحُرْمَةَ الصَّدِيقِ.

[٤٣] وَاسْتَغْنِ عَنْ النَّاسِ يَحْتَاجُوا إليْكَ.

[٤٤] وَاعْلَمْ أنَّ الجَشَعَ[٢] يَـدْعُو إلى الطَّمَـعِ، وَالرَّغْبَـةُ -كَـمَا قِيـلَ:- تُـدَقُّ الرَّقَبَةَ، وَرُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلاتٍ، وَالتَّعَفُّفُ[٣] مَالٌ جَسِيمٍ، وَخُلُقٍ كَرِيمٍ.

---

[١] الحُرض ـ بزنة قفل أو عنق ـ الأشنان تغسل به الأيدي إثر الطعام.

[٢] في "جمهرة اللغة"(١/ ٤٧٧): «الجشع وَهُوَ الْحِرْص الشَّديد رجل جشع بَين الجشع، قَالَ الْأَصْمَعِي: قلت لأعرابي: مَا الجشع؟ فَقَالَ: أسوء الْحِرْص فَسَأَلت آخر فَقَالَ: أَن تَأْخُذ نصيبك وتطمع فِي نصيب غَيْرك».

[٣] قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] والتعفف: ترك التعرض لما في أيدي الناس، صبرًا على البأساء والضراء.

[٤٥] وَمَعْرِفَةُ الرَّجَلِ قَدْرِهِ تُشْرِفُ ذِكْرَهُ، وَمَنْ تَعَدَّى القَدْرَ هَوَى في بَعِيدِ القَعْرِ.

[٤٦] وَالصّدِقُ زَيْنٌ، وَالْكَذِبَ شَيْنٌ، وَلَصِدْقٌ يُسْرِعُ عَطَبُ صَاحِبِهِ أَحْسَنُ عَاقِبَةً مِنْ كَذِبٍ يَسْلَمُ عَلِيهِ قَائِلُهُ.

[٤٧] وَمُعَادَاةُ الحَلِيمِ خَيْرٌ مِنْ مُصَادَقَةِ الأَحْمَقِ.

[٤٨] وَلُزُومُ الْكَرِيمِ عَلَى الهَوَانِ خَيْرٌ مِنْ صُحْبَةِ اللَّئِيمِ عَلى الإِحْسَانِ.

[٤٩] وَلَقُرْبِ مَلِكٍ جَوَادٍ خَيْرٌ مِنْ مُجَاورَةِ بَحْرٍ طَرَّادٍ.

[٥٠] وَزُوْجَةُ السُّوءِ الدَّاءُ العُضَالِ.

[٥١] وَنِكَاحُ العَجُوزِ يَذْهَبُ بِمَاءِ الوَجْهِ.

[٥٢] وَطَاعةُ النِّسَاءِ تُزْرِي بِالعُقَلاءِ.

[٥٣] تَشَبَّهْ بِأَهْلِ العَقْلِ تَكُنْ مِنْهُمْ[1]، وَتَصَنَّعَ لِلشَّرَفِ تُدْرِكُهُ.

قال ابن جرير في "تفسيره" (٥/ ٥٩٤): «ويعني بقوله:"منَ التعفف"، من تَرْك مسألة الناس، وهو"التفعُّل" من"العفة" عن الشيء، والعفة عن الشيء، تركه، كما قال رؤبة:

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ العَسَقْ

يعني: بَرئ وتجنَّبَ».

[1] وقد أنشدوا:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

فالتشبه العارض يأتي بالتطبع الفارض، فمن تشبه بالعقلاء والفضلاء تخلّق بأخلاقهم وسمتهم، ولهذا كان الصحابةﷺ أشبه الناس بالنبيﷺ لما تخلقوا بأخلاقه، ومثله حُكي عن طلاب عبدالله بن مسعود، وكان أبو داود صاحب "السنن" يتشبه بالإمام أحمد في كثير من الأمور.

[٥٤] وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ امْرِئٍ حَيْثُ وَضَعَ نَفْسَهُ، وإِنَّمَا يُنْسَبُ الصَّانِعُ إلى صِنَاعَتِهِ.

[٥٥] وَالمَرْءُ يُعْرَفُ بِقَرِينِهِ.

[٥٦] وإِيَّاكَ وإِخْوَانِ السُّوءِ فإِنَّهُم يَخُونُونَ مَنْ رَافَقَهُمْ، وَيُخزِنُونَ مَنْ صَادَقَهُمْ، وَقُرْبُهُمْ أَعْدَى مِنَ الجَرَبِ، وَرَفْضُهُمْ مِنْ اسْتِكْمَالِ الأَدَبِ.

[٥٧] وَاسْتِخْفَارُ المُسْتَجِيرِ لُؤمٌ.

[٥٨] وَالعَجَلَةُ شُؤمٌ.

[٥٩] وَسُوءُ التَّدْبِيرِ وَهْنٌ.

[٦٠] وَالإِخْوَانُ اثْنَانِ:

فمحافظٌ عَلَيْكَ عِنْدَ البَلاءِ، وَصَدِيقٌ لَكَ فِي الرَّخَاءِ، فَاحْفَظْ صَدِيقَ البَلاءِ وَتَجَنَّبْ صَدِيقَ العَافِيَةِ، فإِنَّهُ أَعَدَى الأَعْدَاءِ.

[٦١] وَمَنْ اتَّبَعَ الهَوَى، مَالَ بِهِ الرَّدَى.

[٦٢] وَلا يُعْجِبَنَّكَ الجَهْمُ مِنَ الرِّجَالِ.

[٦٣] وَلا تُحَقِّرَ ضَئِيلاً كَالخِلالِ[1] فإِنَّمَا المرءُ بَأَصْغَرِيهِ: قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَلا يُنْتَفَعُ بِهِ بَأَكْثَرِ مِنْ أَصْغَرَيهِ.

[٦٤] وَتَوَقَّ الفَسَادَ وإِنْ كُنْتَ فِي بِلادِ الأَعَادِي.

[٦٥] وَلا تَفْرِشْ عِرْضَكَ لِمَنْ دُوْنَكَ.

[٦٦] وَلا تَجْعَلْ مَالَكَ أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْ عِرْضِكَ.

---

[1] الخلال ـ بكسر الخاء ـ بزنة الكتاب: العود الذي تخلل به الأسنان، يريد الرجل النحيف البالغ النحافة.

[٦٧] وَلا تُكْثِرِ الكَلامَ فَتَثْقُلَ عَلى الأَقْوَامِ.

[٦٨] وَامْنَحْ البِشْرَ جَلِيْسَكَ، وَالقَبُولَ مِمَّنْ لاقَاكَ.

[٦٩] وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ التَّبْرِيقِ والتَّزْلِيقِ، فَإِنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ يُنْسَبُ إلى التَّأنِيثِ.

[٧٠] وَإِيَّاكَ وَالتَّصَنُّعَ لِمُغَازَلَةِ النِّسَاءِ.

[٧١] وَكُنْ مُتَقَرِّبَاً، مُتَعَزِّزَاً.

[٧٢] مُنْتَهِزَاً في فُرْصَتِكَ.

[٧٣] رَفِيْقَاً في حَاجَتِكَ.

[٧٤] مُتَثَبِّتَاً في حَمْلَتِكَ.

[٧٥] وَالْبَسْ لِكُلِّ دَهْرٍ ثِيَابَهُ، وَمَعَ كُلِّ قَوْمٍ شَكْلَهُمْ[1].

[٧٦] وَاحْذَرْ مَا يُلْزِمُكَ اللَّائِمَةَ في آخِرَتِكَ.

[٧٧] وَلا تَعْجَل في أمْرٍ حَتَّى تَنْظُرَ في عَاقِبَتِهِ.

[٧٨] وَلا تَرُدَّ حتَّى تَرَى وَجْهَ المَصْدَرِ.

[٧٩] وَعَلَيْكَ بِالنُّوْرَةِ في كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةٍ، وَإِيَّاكَ وَحِلاقِ الإِبطِ بالنُّوْرَةِ،

[٨٠] وَلِيَكُنْ السِّوَاكُ مِنْ طَبِيعَتِكَ، وإذَا اسْتَكْتَ فَعَرْضَاً.

[٨١] وَعَلَيْكَ بِالعِمَارَةِ، فإنَّها أَنْفَعُ التِّجَارَةِ.

[٨٢] وَعِلاجُ الزَّرْعِ خَيْرٌ مِنْ اقْتِنَاءِ الضَّرْعِ.

[٨٣] وَمُنَازَعتِكَ اللَّئيمِ تُطْمِعُهُ فِيْكَ.

[٨٤] وَمَنْ أَكْرَمَ عِرْضَهُ أَكْرَمَهُ النَّاسُ.

---

[1] فخلاف ذا من لباس الشهرة، وقد ذم النبيﷺ من لبس لباس الشهرة،

[٨٥] وَذَمُّ الجَاهِلِ إيَّاكَ أفْضَلُ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْكَ.

[٨٦] وَمَعْرِفَةُ الحقِّ مِنْ أخْلَاقِ الصِّدْقِ.

[٨٧] وَالرَّفِيقُ الصَّالحُ ابنُ عَمٍّ.

[٨٨] وَمَنْ أيْسَرَ أُكْبِرَ، وَمَنْ افْتَقَرَ اُحْتُقِرَ.

[٨٩] قَصِّرْ في المَقَالةِ مَخافةَ الإجَابَةِ.

[٩٠] وَالسَّاعِي إليْكَ غَالبٌ عَلَيْكَ.

[٩١] وَطُولُ السَّفَرِ مَلالةٌ.

[٩٢] وَكَثْرَةُ المُنَى ضَلالةٌ.

[٩٣] وَلَيْسَ لِلْغَائِبِ صَدِيقٌ، وَلا عَلَى المَيْتِ شَفِيقٌ.

[٩٤] وَأدَبُ الشَّيخِ عَنَاء، وَتَأدِيبُ الغُلَامِ شَقَاءٌ.

[٩٥] وَالفَاحِشُ أمَيرٌ، وَالوَقَّاحُ[1] وَزِيرٌ.

[٩٦] وَالحَلِيمُ مَطِيةُ الأحْمَقِ، وَالحُمْقُ دَاءٌ لا شِفَاءَ لَهُ، وَالحِلْمُ خَيرُ وَزِيرٍ.

[٩٧] وَالدِّينُ أزْينُ الأمُورِ.

[٩٨] وَالسَماجَةُ سَفَاهَةٌ.

[٩٩] وَالسَّكْرَانُ شَيْطَانٌ، وَكَلامُهُ هَذَيَانٌ.

[١٠٠] وَالشِّعْرُ مِنَ السِّحْرِ.

[١٠١] وَالتَّهَدُّدُ هَجْرٌ.

[١٠٢] وَالشُّحُّ شَقَاءٌ.

---

[1] الوقاح ـ بفتح الواو ـ الوصف من الوقاحة، وهي الإفراط في سوء الأدب.

[١٠٣] وَالشَجَاعةُ بَقَاءٌ.

[١٠٤] وَالهدِيةُ مِنَ الأخْلاقِ السَّرِيَّةِ، وَهِي تُورِثُ المَحَبَّةَ.

[١٠٥] وَمَنْ ابْتَدَأ المَعْرُوفَ صَارَ دَيْنَاً، وَمِنْ المَعْرُوفِ ابْتِدَاءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْألةٍ.

[١٠٦] وَصَاحِبُ الرِّيَاءِ يَرْجِعُ إلى السَّخَاءِ، وَلَرِياءٌ بِخَيْرٍ خَيْرٌ مِنْ مُعَالَنَةٌ بِشَرٍّ.

[١٠٧] وَالعِرْقُ نَزَّاعٌ، وَالعَادَةُ طَبِيعَةٌ لازِمَةٌ: إنْ خَيراً فَخَيْرٍ، وإنْ شَرَّاً فَشَرٍّ.

[١٠٨] وَمَن حَلَّ عَقْدَاً احْتَمَلَ حِقْدَاً.

[١٠٩] وَمُرَاجَعَةُ السُّلْطَانِ خَرْقٌ بِالإنْسَانِ.

[١١٠] وَالفِرَارُ عَارٌ، وَالتَّقَدمُ مُخاطَرَةٌ.

[١١١] وَأعْجَلُ مَنْفَعَة: إيْسَارٌ في دَعَةٍ.

[١١٢] وَكَثْرةُ العِلَلَ مِنْ البُخْلِ، وشَرُّ الرِّجَالِ الكَثِيرُ الاعْتِلالِ.

[١١٣] وَحُسْنُ اللِّقَاءِ يُذْهِبُ بالشَّحْنَاءِ.

[١١٤] وَلينُ الكَلامِ مِنْ أخْلَاقِ الكِرَامِ.

[١١٥] يَا بُنَي إنَّ زَوْجَةَ الرَّجُلِ سَكَنُهُ، وَلا عَيْشَ لَهُ مَعَ خِلافِهَا، فَإذِا هَمَمْتَ بِنِكَاحِ:

امْرَأةٍ فَسَلْ عَنْ أهلها، فَإنَّ العُرُوقَ الطَّيِّبَةَ تُنْبِتُ الثِّمَارَ الحُلْوَةَ.

[١١٦] وَاعْلَمْ أنَّ النِّسَاءَ أشَدُّ اخْتِلَافَاً مِنْ أصَابِعِ الكَفِّ، فَتَوقَّ مِنْهُنَّ:

كُلَّ ذَاتِ بَذَاءٍ مَجْبُولةٍ عَلى الأَذَى:

أ - فَمِنْهُنَّ الْمُعْجَبَةُ بِنَفْسِهَا، الْمُزْرِيةُ بِبَعْلِهَا، إِنْ أَكْرَمَهَا رَأَتْهُ لِفَضْلِهَا عَلِيهِ، لَا تَشْكُرُ عَلَى جَمِيلٍ، وَلا تَرْضَى مِنْهُ بِقَلِيلٍ، لِسَانُهَا عَلَيْهِ سَيْفٌ صَقِيلٌ، قَدْ كَشَفَتْ القِحَةُ[١] سِتْرَ الحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهَا، فَلا تَسْتَحِي مِنْ إِعْوَارِهَا، وَلا تَسْتَحِي مِنْ جَارِهَا، كَلْبَةٌ هرَّارَةٌ[٢]، مُهَارِشَةٌ[٣] عَقَّارَةٌ[٤].

فَوْجْهُ زَوْجِهَا مَكْلُومٌ، وَعِرْضُهُ مَشْتُومٌ، وَلا تَرْعَى عَلَيْهِ لِدِينٍ وَلَا لِدُنْيَا، ولا تَحْفَظُهُ لِصُحْبَةٍ وَلا لِكَثْرِةِ بَنِينٍ.

حِجَابُهُ مَهْتُوْكٌ، وَسِتْرُهُ مَنْشُورٌ، وَخَيْرُهُ مَدْفُونٌ.

يُصْبِحُ كَئِيباً، وَيُمْسِي عَاتِباً، شَرَابُهُ مُرّ، وَطَعَامُهُ غَيْظٌ.

وَوَلَدُهُ ضَيَاعٌ، وَبَيْتُهُ مُسْتَهْلَكٌ، وَثَوْبُهُ وَسْخٌ، وَرأسُهُ شَعِثٌ.

إِنْ ضَحِكَ فَوَاهِنٌ، وإِنْ تَكَلَّمَ فَمُتَكَارِهٌ.

نَهارُهُ لَيْلٌ، وَلَيْلُهُ وَيْلٌ، تَلْدَغُهُ مِثْلُ الحَيَّةِ العَقَّارَةِ، وَتَلْسَعُهُ مِثْلُ العَقْرَبِ الجَرَّارَةِ[٥].

---

[١] القِحَة: هي الوقاحة، وهي صلابة الوجه من قلة الأدب.

[٢] وصف للتقبيح، كما أنشد الجاحظ لشبيل بن عزرة:

بنو كلبة هرّارة وأبوهم خزيمة عبد خامل الذكر أوكس

ويقال: عينٌ هرّارة: أي كثيرة الماء.

[٣] كثيرة التحرش بكل من حولها، قال ابن فارس في "مقاييس اللغة" (٦/ ٤٦): مهارشة الكلاب: تحريش بعضها على بعض. ومنه يقاس التهريش، وهو الإفساد بين الناس.

[٤] عقارة: تعقر صاحبها كما يعقر الكلب.

[٥] العقرب الصغيرة الماكرة. قال في "تهذيب اللغة" (١٠/ ٢٥٤) «الجرارة: عقيربة صفراء كأنها تِبْنة».

ب- وَمِنْهُنَّ شَفْشَلِيقٍ[١] شَعْشَعٍ[٢] سَلْفَعٍ[٣]، ذَاتِ سُمٍّ مُنْقِعْ[٤]، وإِبْرَاقٍ[٥] وَاخْتِلاقٍ، تَهُبُّ مَعَ الرِّيَاحِ، وَتَطِيرُ مَعَ كُلِّ ذِي جَنَاحٍ، إِنْ قَالَ: لَا، قَالَتْ: نَعَمْ، وإِنْ قَالَ: نَعَمْ، قَالَت: لَا، مُولِّدةٌ لِمَخَازِيهِ، مُحْتَقِرةٌ لِمَا فِي يَدِيهِ، تَضْرِبُ لَهُ الأَمْثَالَ، وَتَقْصُرُ بِهِ دُونَ الرِّجَالِ، وَتَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ، حَتَّى قَلَا بَيْتَهُ، وَمَلَّ وَلَدهُ، وَغَثَّ عَيْشُهُ، وَهانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَحتَّى أَنْكَرَهُ إِخْوانُهُ، وَرَحِمَهُ جِيْرَانُهُ.

ج - وَمِنْهُنَّ الوَرْهَاءُ[٦] الحَمْقَاءُ، ذَاتُ الدُّلِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِا، المَاضِغَةُ لِلِسَانِهَا، الآخِذَةُ فِي غَيْرِ شَأنِها، قَدْ قَنِعَتْ بِحُبِّهِ، وَرَضِيتَ بِكَسْبِهِ، تَأكُلُ كَالحِمَارِ الرَّاتِعِ، تَنْتَشِرُ الشَّمْسُ وَلَمَّا يُسْمَعُ لَهَا صَوْتٌ، وَلَمْ يُكْنَسْ لَهَا بَيْتٌ، طَعَامُهَا بَائِتْ، وإِنَاؤُهَا وَضِرٌ[٧]، وَعَجِينُها حَامِضٌ، وَمَاؤُهَا فَاتِرٌ، وَمَتاعُهَا مَزْرُوعٌ، وَمَاعُونُهَا مَمْنُوعٌ، وَخَادِمُهَا مَضْرُوْبٌ، وَجارُهَا مَحْرُوبٌ.

---

[١] الشفشليق: «العجوز المسترخية اللحم» قال في تهذيب اللغة (٩/ ٢٨٥): «عجوز شفشليق وشمشليق: إذا استرخى لحمها».

[٢] الشعشع: «الطويلة» وفي "غريب الحديث" لإبراهيم الحربي (٢/ ٥٨٢): «قال الأصمعي: شعشع، وشعشعان: الطويل».

[٣] السلفع: «الصخابة البذيئة سليطة اللسان» قال الخليل بن أحمد في "العين" (٢/ ٣٣١): «امرأة سلفع: أي سليطة».

[٤] أي دائم فيها، متأصل في شخصيتها وطباعها.

[٥] أي تزين كذبها، من برَّق منزله أي زينه وزوقه، ينظر "لسان العرب" (١٠/ ١٧).

[٦] الورهاء: الحمقاء، وأصله قولهم "سحابة ورهاء" أي كثيرة المطر.

[٧] الوضر ـ بفتح الواو والضاد ـ بقية الدسم والدهن في الإناء، والوضر ـ بكسر الضاد ـ الوصف منه.

د – وَمِنْهُنَّ العَطُوفُ الوَدُودُ، المُبَارَكَةُ الوَلُودُ، المَأمُونَةُ عَلى غَيْبِها، المَحْبُوبَةُ في جِيْرَانِهَا، المَحمُودةُ فِيْ سِرِّهَا وإعْلانِهَا، الكَرِيمةُ التَّبَعُّلِ، الكَثِيرةُ التَّفَضُّلِ، الحَافِضَةُ صَوْتَاً، النَّظِيْفَةُ بَيْتَاً، خَادِمُهَا مُسْمِنْ، وَابْنُهَا مُزَيَّن، وَخَيْرُهَا دَائِمٌ، وَزَوْجُهَا نَاعِمٌ، مَوْمُوقَةٌ مَألُوفَةٌ، وبِالعَفَافِ وَالخَيْرَاتِ مَوْصُوْفَةٌ.

[خاتمة ودعاء]

جَعَلَكَ اللهُ يَا بُنَيَّ مِمَّنْ يُقْتَدَي بالهُدَى، وَيْأتَمَّ بِالتُّقَى، وَيَجْتَنِبَ السُّخْطَ، وَيُحِبُّ الرِّضَى.

واللهُ خَلِيْفَتِي عَلَيْكَ، وَالمُتَولِّي لأمْرِكَ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الهُدَى وَعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً.